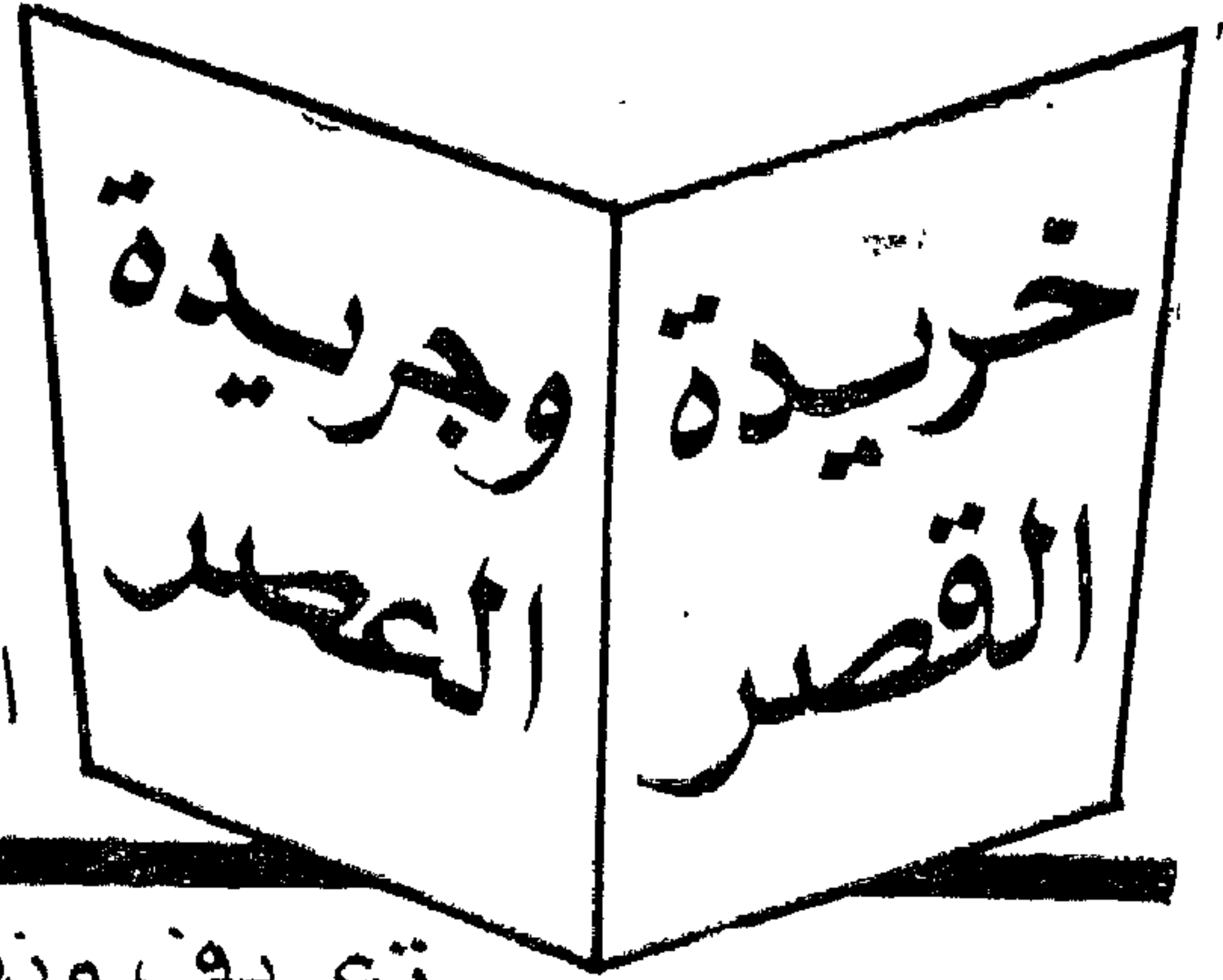




للعماد الأصبهاني
الجزء الرابع
حققه وشرحه
الأستاذ محمد بهجة الأثري



تعريف ونقد: الأستاذ محمد عبد الغني حسن

ولمصر قسم صدر من زمن غير بعيد .
وللشام قسم بدأ صدوره في دمشق منذ
سنة ١٩٤٩ ، وللعراق قسم كبير صدر
منه الجزءان الأول والثاني منذ زمن ،
كما صدر أخيرا الجزء الرابع منه بمجلديه
الضخمين بتحقيق الأستاذ العلامة الكبير
محمد بهجة الأثري ، أما ثالث الأجزاء
العراقية فلما يصدر بعد ، استكمالا للتحقيق
كما يصرح محققه الفاضل .

والذي صنعه العماد الأصبهاني في الخريدة
هو السدي صنعه من قبله الثعالبي في
«اليتيمة» وصنعه الباخريزي في «دمية»
القصير «والخطيري في «زينة الدهر»
ثم صنعه بعدهم الشهاب الخفاجي في
«الريحانة» والمحي في «نفحة الريحانة»
ولا تزال وزارات الثقافة في البلاد العربية

خريدة القصير
وجريدة العصر
للأديب الكاتب



السياسي المؤرخ «العماد الأصبهاني»
لوناظريفا من كتب الشعر والشعراء المؤلفة
وفق القرون ، والحاوية للشعر والشعراء
في عصر معين ، لاعلى مدار العصور
كما في كتاب « الشعر والشعراء »
لابن قتيبة . وهي بهذا اللون الطريف
والمذاق الجميل تقدم لنا نماذج الشعر
العسري في القرن السادس الهجري
وهي نماذج لاتخص قطرا عربيا معيننا
بذاته ، ولا تقتصر على بقعة عربية دون
بقعة ، بل تمتد لتشمل الوطن العربي
الفسيح كله ما بين مشرق ومغرب . وقد
نخص المؤلف كل أرض عربية بقسم من
«خريدته» فللمغرب والأندلس والشمال
الإفريقي قسم صدر منه جزءان في تونس؛

اليوم تحرص على إصدار مجموعات
ومختارات من الشعر المعاصر مع تعريفات
وجيزة بالشعراء المختار لهم لتكون مرآة
للشعر الحديث .

ولن تسلم مجموعة ضخمة من الشعر
في عصر واحد من أن يجتمع فيها الغث
والسمين والجيد والردئ ، فليس من المعقول
أن يجرى الشعر المختار كله على نسق
واحد من السمو والارتفاع ، أو أن يكون
كله موحد المستوى ، مستوى النفس ،
بل لابد أن تصادفنا فيه القمم والسفوح
والحب والزؤان . وهذا الخلاف في
المستوى وفي النفس وفي الأهداف والأغراض
والمعاني هو دلالة أكيدة على اختلاف
المواهب والمستويات عند الناس ، وهو
يصور الحياة تصويرا صادقا ، واضحا
فلا يعرض جميلا ولا يحجب قبيحا . وإنما
يجمع بين الجمال والقبح كما تجمع
الحياة عادة بين النقاؤض ، وتضم بين
المتناقضات والأضداد .

ولن يكون العماد الأصبهاني أو غيره
من مؤلفي المجاميع الشعرية لعصر من
العصور أمناء على قضية الأدب والجمع

الشعري إذا قدموا بعضا من النماذج دون
بعض : أو آثروا لونا من الشعر على
لون أو أبرزوا غرضا من الأغراض دون
غرض فإن الأمانة تقتضي أن يقدموا
نماذج لكل ماصدر من الشعر عندهم .

وقيل في عصرهم مهما كانت درجته
ومهما كانت بضاعته ، لأن المفروض
أنهم لا يقدمون نماذج رفيعة أو أمثلة جيادا
فحسب ، وليكنهم بقدمون صورة كاملة
للشعر العربي في عصرهم بما تحويه من
سمو وهبوط ، ورفعة واتضاع .

ومن هنا كان حرص العماد الأصبهاني
على أن يجمع في كتابه الضخم كل
لون شعري ظهر في عصره ، وأن لا يحاول
إبراز بعض الأغراض الشعرية على حساب
البعض الآخر . وإن كان لم يمسك في يده
مكيالا يكيل به ما اختاره من كل غرض
ويوفق بين المكايل حتى لا يطغى اختيار
على اختيار .

فالرجل كان جامعاً ناقلاً راوياً مسجلاً ،
فلا يعنيه من الجمع المقدار والكم ، ولكن
يعنيه الكيف ، حتى تكون أغراض الشعر
في عصره ممثلة على أقرب الوجوه دقة ،
وأصدقها تمثيلاً .

ولا شك أن « العماد » قد وقع له من الشعر العربي في عصره شيء كثير ، بحكم طبيعته الأدبية الواضحة ، أو بحكم صلاته الاجتماعية الكثيرة التي هيأتها له نيابته عن الوزير ابن هبيرة في « واسط » وبحكم مركزه السياسى المرموق الذى جعل داره مهبط الأدباء من كل حذب ، وأخيراً بحكم ذلك الميل الخاص الغالب عليه نحو الشعر العربى ، وتعاطفه معه ، وعنايته به .

ولا شك أنه لم يكن فى جمعه لذلك السيل الغامر من الشعر حاطباً ، ولا خابط ليل . لقد كان ينتقى ، ويؤثر قولاً على قول ، ويستبعد ما يراه أهلاً للاستبعاد . وقد يقرأ المجموعة من الشعر لشاعر معاصر تقع له بآى طريق من طرق الإعارة أو الإهداء أو الشراء ، فلا يخلص منها فى النهاية له إلا عدد من الأبيات يؤثرها بالرواية ، ويخصها بالتسجيل .

ألم يحدثنا - وهو صادق - فى خلال ترجمته الوجيزة للشريف أبى هاشم إسماعيل بن المؤمل الرشيدى الواسطى بأن أشعار هذا الشاعر التى نظمها جمعت

فى مجلدة ضخمة تنيف على ستة آلاف بيت ، وأنه طالعها كلها فلم يختتر منها إلا هذه الأبيات :

مضى الود والأيام ما سمحت لنا
بشرب مدام أو بقرب نسيم

ونحن عطاش ، والموارد جمعة
يوطدها قوم لكل لئيم

على الراح والأقداح منى تحية
إلى أن أراها فى بنان كريم !

والذى لا يصفو له إلا ثلاثة أبيات من ٦ آلاف بيت ليضعها فى موسوعته الشعرية هو رجل لا يجمع حيناً اتفق ، ولكنه يتأنق فى الجمع ، ويحسن فى الاختيار .

على أنه قد تصادفنا فى أشعار الخريدة أبيات ومقطعات فى الإحماض والإفحاش فى الهجاء كننا نرجو لو خلا منها الكتاب ، حتى لا يخذش حياة القارئ بمعان لا تحي خلقاً ، ولا تنشر فضلاً ، ولا تقيم فضيلة ، أبى هى ضرب من الفحش والمجون واللغو الآثم الذى قد يحرك غرائز الشر ، ويثير المضاحك ، ولكنه لا يعبر عن نبيل أو حياء . وأى شرف فى أن نلتقى فى الخريدة برجل سليط اللسان ، فاحش القول ، لا يتورع

أن يهجو زوجته بأقبح هجاء ، ويهجو ولده بأفحش قول ؟ وإذا كنا احتملنا هذا من أمثال الحطيئة ، وجريز ، والفرزدق ، والبعيث ، وابن حجاج ، وابن سكرة ، قبل القرن السادس الهجري ، فلماذا نصاب به من جديد في هذا القرن الذي يتميز بلقاء العرب والمسلمين ضد الصليبيين؟ ولماذا نجد في عصر الجهاد الإسلامي ضد الغرب المتعصب جماعة من الشعراء الذين يبدون وكأنهم فرغوا من هموم الدنيا ، ومشاكل الحياة . فيهزلون حين ينبغي أن يجد الجد ، ويمزحون حين تدعوهم الحياة إلى الرصانة والوقار ؟

الحق أن العماد لم يخرج عن مفاهيم زمانه حين اضطر أن يروي في خريدته شعرا هابطاً في الهجاء ، والمجون ، فهو ناقل صورة يريد أن يكون أميناً على أدائها . وقد كان الرجل معتدلاً في هذا المجال ، فلم يسرف في عرض هذه الألوان الذابية .

والحق أيضاً أن محقق الكتاب العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري - وهو رجل فيه خلق ودين وحياء - قد ضاق بمثل هذه النماذج الهابطة من شعر الهجاء في

الخريدة ، فلم يسكت عليها ، ولم يقف أمام إيرادها صامتا ، بل نراه حين يطفح به الكيل ، ويسيل السيل يتفجر كالبركان معاقا على هذا الشعر بمثل قوله : « وهذه القطعة من فسولة اللفظ والمعنى والغرض في أخط منازل الكلام » ص (٤٩١) . أو بمثل قوله في هامش ص (٥٤٦) : « هذا البذاء امتداد لبذاء جرير والفرزدق والأخطل ثم ابن الرومي والمتنبي : وأضربهم معن علموا المروءة وضعف في نفوسهم وأزع الدين ، و نوازع الطبع الشريف . فاستباحوا فحش القول وأشاعوه في المجتمع العربي الإسلامي . وقد كان يحسن المؤلف ، وهو هو ، أن ينزد كتابه من مثله ، ويقتصر على رواية النظيف من هجاء الشاعر مجتزئاً بالاشارة إلى بذائه الذي أفضى إلى اغتياله . . » أو بمثل قوله في هامش ص (٧٥٩) : « . . . وكان اللائق بالمؤلف تنزيه كتابه من هذه الأقدار) فأنت ترى أن المحقق الفاضل هنا ساخط على اختيار هذه الأهاجي الفاحشة ، ضائق بها صدره . ويخيل إلى أنه لو لم يكن المجال مجال تحقيق نص قائم موجود ، لأبعد المحقق هذه النماذج

ونفماها من السكتاب كله ، وليسكنه
وفقا لأمانة العلم ، وتوفية الأداء ،
لا يملك هذا ، ولم يملك إلا أن ينفس
عن صدره بمثل هذه التعليقات ، ولعل
ذلك أضعف الإيمان !!

والحق أن هذا الإحماض ورواية المقذع
المفحش قد وقع فيه نفر من المصنفين
العرب والمسلمين ممن كان لا ينتظر
وقوعه منهم ، كالراغب الأصفهاني
في محاضراته ، والغزولي في مطالع بدوره ،
بل وقع فيه صاحب عيون الأخبار أحيانا ،
ووقع فيه الزويري في نهاية الأرب ،
ووقع فيه صاحب كتاب « قطب
السرور » الذي صدر عن مجمع اللغة
العربية بدمشق من زمن غير بعيد .

على أنه لا بأس برواية النادر من
الهجاء إذا لم يكن فيه إقذاع ولا فحش
ولا بذاء . ولعل من ذلك ما رواه العماد
عن الشاعر « الصارم مرجى البطاحي »
حين هجا ثلاثة من الكبراء في وقته قائلا :
قوم إذا قام قوم للعلا قعدوا
وإن تشبه قوم للعلا ناموا !

ويظهر أن هذا اللون من الهجاء القتال
غير البذئ ولا الماجن قد راق لدى العماد ،
فعقب عليه قائلا : « هذا البيت الأخير
نادر في الهجاء ، يعجز عنه فصحاء
البلغاء » .

وقد كان العماد يستعجيد المعاني النادرة
الجيدة حتى في الهجاء ، ويعلق عليها
بما يكشف عن قيمتها . فقد علق على
أبيات هجاء قالها « الصارم مرجى »
في هجو شقيق له بقوله : (والمعنى في غاية
الحسن لم يسبق إليه)

ولا بأس هنا من إيراد هذه الأبيات
ما دامت لا تخل بمبدأ الشرف والعفة ،
وصيانة اللسان ، وإن كانت تخل بالمروءة
وحقوق الرحم حين يهجو أخ أخاه :

أى حرام من الحلال أنخى ؟
كأنه الخمر إبنة^(١) العنب

قاتلك الله يا أنخى ، فلقد
فضحتنا في قبائل العرب

كأننا الغر من قريش سموا
وأنت ما بيننا أبو لهب !

(١) اضطر الشاعر إلى قطع همزة الوصل في كلمة : ابنة .

ولم تخل أغراض الشعر التي رواها
العماد الأصبهاني لشعراء عصره من المدح
والفخر ، والعتب ، والتهاني وهي أغراض
لم تزل موجودة في كل عصر ، وإن
كان آن للشعر العربي أن يتحلل منها اليوم
في عصر يتطلع إلى التطور والتجديد .
ولقد كانت المدائح المروية يُقصدها
الخلفاء ، والأمراء ، وعمال الولايات ،
والوزراء ، والقادة . وهي بالطبع مما يغلب
عليه المدح لغرض في النفس ، أو لمنفعة
ذاتية . وقليل منها المدح الصادق الذي
كان نادرا في ذلك الزمان .

على أن الشعراء الذين وفدوا على
العماد الأصبهاني وخصوه بمدائحهم التي
نشر بعضها منها في كتابه ، لم يمدحوه -
ولا نسيء الظن - إلا قاصدين أن يهدي
إليهم صنيعاً من جاهه ، تغنى عن
صنيعه من ماله ، فلم يكن الرجل ذا مال ،
ولا صاحب ضياع ، ولا رب ثراء ،
ولكنه كان نائبا للوزير ابن هبيرة
في واسط ، وكانت هذه النيابة عن
الوزارة تتيح له أن يكون مرجوا . ومن هنا
تسابق الشعراء إلى بابه ، وقصده
بالمدائح وأبيات الثناء .

وإذا كانت « الخريدة » قد اشتملت
على هجاء ، استكمالا لصورة الشعر العربي
في العراق في القرن السادس الهجري ،
فإنها قد اشتملت على طائفة من شعر
الألغاز الذي يبدو أنه كان بدعة فاشية
في ذلك العصر وحين يظهر لون من
الأدب ، ويشغل به الناس ، ويعطونه
من اهتمامهم فوق ما يستحق ، فإنه لا يلبث
أن يشيع ، ويندفع ، ويقبل عليه الناس
إقبالا شديدا حتى يكادوا أن يستهلكوه .
ومن هنا شاعت الألغاز بين شعراء ذلك
العصر ، يصنعونها شعرا - أو إن شئت
الدقة فقل نظماً - ويقدمونها إلى أصدقائهم
ومعارفهم ، وينتظرون حلها والإجابة عنها
نظماً كذلك . وكثيرا ما كان يفتن الشاعر
في عمل اللغز الشعري ، والتعمية به ،
والخفاء فيه ، حتى يضطر المجيب إلى كد
الذهن وإعمال الفكر . ولعل مثالا واحدا
من هذه الألغاز الشعرية يغنيننا عن الإطالة
في لون من الشعر لا جمال فيه ولا خيال .
فقد كتب الشاعر ابن أبي الصقر الشافعي
لغزا في « الدينار » يقول فيه ،

وأى شيء طسوله عرضه .
أضحى لسه عندك مقدار ؟

دل عليه حسن طبعه
ففيه للعالم أوطار

تمسكه الكف ، ولا تشتكى

منه احتراقاً ، وبه نار

وكان للشاعر ابن أخت بعت باللغز
إلى الأمير أبي الغيث البصري ، فقال في
جوابه :

يا من أتانا ماغزا فكـره

للغـز يستغنى ويمتـار

ألغزت في « الدينار » فامتـر به

إن كنت من للعلم يمتـار

ويكفي أن نشير هنا إلى أن هذه الألغاز
كانت في أشياء مادية ومعنوية مما تشتمل
عليه الحياة ، ويقع عليه البصر أو الظن ،
مما لا يدخل تحت حصر . وقد اهتم الناس
بها في ذلك العصر ، حتى لقد جمع فيها
أبو المعالي الخطيري الكندي كتاباً أسماه
(كتاب الإعجاز ، في الأحاجي والألغاز)
طالعه العماد الأصبهاني واختار بعضاً من
ألغازه .

والإخوانيات كثيرة في أشعار الخريدة ،
وهي ضرب من أغراض الشعر شاع وكثر
حين كثرت الجماعات ، وازداد الاتصال

والترابط بين الناس ، وهي وإن كانت
لا تدخل في الأغراض السامية الرفيعة
للشعر ، فهي تعبير صادق عن علاقات
بين الشعراء ، يصور لنا كثيراً من أخلاقهم
وسلوك حياتهم .

ولم تسلم أغراض الشعر في الخريدة
من شعر الشكوى . وهو غرض يعبر
عن مواجع الشعراء من بعض الظروف
المحيطة بهم ، وغير الملائمة لهم ، كالشكوى
من الزمان ، ومضايقات الأيام ، والشكوى
من سوء الحظ ، ونكد الطالع ، والشكوى
من حاكم ظالم ، أو بلد غير طيب ، أو
صديق جائر ، أو جو غير مناسب ، أو علة
طارئة ، أو عشرة منغصة ! ولعل من أطرف
الشكاوى الشعرية ما نظمه الشاعر « أبو
الحسن الهيتي » في الشكاة من بلدة « هيت »
بالعراق وأهلها وذمهم . ولا بأس من
إيراد بعض أبياتها حيث يقول :

منازل « هيت » لا يوافقها العدل
إذا عدل السلطان جار بها الأهل
وما هي إلا بلدة جاهلية

أمرت على مر الزمان فما تحلو !
تجمع أهلها على الخلف والجفا
وبينهما أخذ الحرائب والقتل

قلوبهم من جنس..... بدل وصفائح
نُحلقن وما في العالمين لهم شكل
وأيماهم غم..... بدر إذا حلفوا بها
وقولهم نكر ، وموعدهم مطل

وإن عوتبوا فالعتب فيهم مضيع
رإن عدلوا يوماً فما ينفع العدل

أرى شيمتي تنأى ب..... لادى وأهلها
فيا ليت أنا لم يكن بيننا وصل !
وأقسم لولا بنت عم شفيع.....
إذا غبت عنها نالها منهم ثقل

لأعدت أسفاري ، وفارقت منزلي
أولم يثنى كرم بأرضى ولا نخل ..

أما الشكوى من الكبر والاضطرار إلى
استعمال العصا ، فقد عبر عنها شاعر من
شعراء الخريدة بقوله :

أسوق نفسي بعصاً في ي.....
تبصر قدأى ولا خاف.....

يا رب ! حتى الشيخ في سوقه
مخالف للعادة والع.....^(١) ف

هذا ألفت هذه الإشارة إلى مخالفة
الشيخ لمألوف العادات ، حتى سوق العصا !!

وتصور لنا شكوى الشاعر من « ابن
يعيش » صاحب الديوان صورة من الظلم
الإدارى في المجتمع العراقى . وهو نوع من
الظلم كان سائدا في ذلك الزمان .

ولن ندع شعر الشكوى يمر دون الإشارة
إلى الأبيات الفكاهة التى نظمها العماد
الأصبهاني نفسه في الشكاية من البق والبرغوث !
وقد نظمها ارتجالاً حين بات ليلة « بنهر
دقلى » وهو في طريقه إلى بلدة عسكر مكرم
فقال :

يا لحا الله ليل..... قرصتى
في دياجيرها البراغيث قرصاً !

شربت بقه..... دى فتغنست
وبراغيث..... تواجدن رقصاً !

قصد تعريت من ثيابى لسكرى
غير أنى لبست منهن قمصاً

كلما ازددت منعهن بح.....
عن فراشى شرهن فازددن حرصاً

من براغيث خلتهن..... طافرات
طائرات جناحهن..... قد حُصا

(١) هكذا ورد : وصوابه : مخالف العادة والعرف بالإضافة لا بال التعريفية .

عَرَضَتْ جَيْشَهَا الْفَرِيقَةَ.....ان حولي
وهي أوفى من أن تَعْمِدَ وتَحْص

لو غزا « سنجر » بها الغز يوماً
لم يَدَعْ مِنْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ شَخْصاً!

وكان العماد يظن أن المعنى هنا لم يُسبق
إليه ، ولم يقله قائل ، إلى أن أنشده
صديقه القاضي عبد المنعم بن مقبل الواسطي
بيتين للشاعر العدل أبي علي بن بيختيار
الواسطي في المعنى نفسه ، وهو غنائم البق
لرقص البراغيث ، كما في البيت الثاني ،
فاعترف له بالسبق !

وتصادفنا في أشعار الخريدة بعض النماذج
القليلة من شعر الحنين إلى الوطن ، وما
أجمل لو كان العماد أطال فيه ، فهو لون
من الشعر الصادق النفسى المعبر عن
واجد المرء الحقيقية ، وليس مجرد
نظم أو رصف كلام . ومن نماذجه هنا
ما قاله الشاعر أبو الفرج الواسطي :

كم ذا الوقوف بنا على الإبل
أورد قلوبى ما أذى الأثل

واعدل إلى ذات اليمين بِنَسْأ
واحطط بربيع بريكة رحلى

مَغْنَى عَفَتْ آيَاتِ مَلْعَبِهِ
ومحنت معالمه يَسْدُ المحل
أودعت قلبي في ربائبه
وعقلت في عرصاته عقلى

وبكيت حين رأيت ما صنعت
أيدي النوى بالربع والشمس
أكبرته فوطئت تربته
بحشاي ، لا بمناسم الإبل
وظفقت أنشد فيه حين خـ
منهم بما يُغرى ولا يُسلى

لا ابيض لي في الدهر بعدهم
يوم ، وهل دار بلا أهل ؟

ولعل أكثر أغراض الشعر اختياراً
وجمعاً في الخريدة هي أغراض الغزل
والنسيب ، والآداب والأخلاق ، والوصف
واختيار العماد الأصهباني للشعر الأخلاقي
الرفيع يعكس لنا صورة من أخلاقه .
فقد كان الرجل كريماً ، متواضعاً ،
ذا مروءة ونجدة . وطالما تمنى أن يحل
مشكلات الشاكين ويعجيب مطالبهم قبل
أن يحلها الوزير ابن هبيرة الذي كان
نائباً له . وله في هذا المواقف المحموده :

فحين وفد الشاعر «ابن الشريف الجليل»
على الوزير ابن هبيرة شاكيا ومتظلما ،
وأسمعه قصيدة فيها البيتان الآتيان :

أَجِرْنِي عَلَى لَدَهْرٍ فِيمَا بَقِيَ

بقییت فما قد مضی قد مضی
فلستُ أبالی بسخط الزمان

وَأَذَتْ تِرَانِي بِعَيْنِ الرِّضَا
اهْتَزَّ لَهَا كَمَا اهْتَزَّ الْوَزِيرُ ابْنُ هَبِيرَةَ ،
وَوَدَّ لو أَنَّهُ لَهُ مَكْنَةُ ، أَوْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ
إِجَازَتَهُ أَوْ إِجَارَتَهُ .

ومن مختاراته الأخلاقية الزهدية
ما أنشدّه عن أبي تراب العكبرى « من
قوله :

حالی بحمد اللہ حالِ جیدہ
 لکنہ من کل حظِ عاطل

ما قلت للأيام قول معاتب
فالرزق يدفع راحتي ويماطل

إلا وقالت لي مقالة واعظ :

الرزق مقسوم ، وحرصك باطل

ونماذجه في شعر القناعة والزهد ، والرضا
غير قليلة ، وهي تعكس أيضا جملة أخلاقه ،

ومنها ما رواه عن الشاعر المعلم أبي الأزهر
الضحاك :

ما أَنعم الله على عبده
بنعمة آوَى من العافيه

وكل من عوفي في جسمه
فأنه في عيشة راضيه

والمال حلو حسن جيد
على الفتى لكنه عاربه
وأَسْعَدُ العالمِ بالمالِ مَنْ
أَدَاهُ لِلْآخِرَةِ الْبَاقِيهِ

ما أحسن الدنيا ! ولكنها
مع حسنها غادرة فانيه ...

ومن مرويات العمد الأصبهاني في شعر
عزة النفس ، وعدم الرضا بدون ، ما
رواه عن الرئيس أبي سعيد بن واثق
الأنباري حيث أنشده لنفسه :

أَظْمَأُ ، وَغَدْرَانِ الْمَوَارِدِ جَمْعَةٌ
حَوْلِي وَأَسْغِيبُ وَالْمَطَاعِمِ دُونِي
وَأَعَافِ أَدْوَانَ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ
لَا يَرْضَى بِالْذُّونِ غَيْرِ الذُّونِ

لا الفقر يخفّض من تسمای ناظری
فیغص منه ، ولا الغنی یطغی

وكذلك مارواه من شعر في الاستغناء
عن المخلوق بالخالق من شعر ابن أبي
الصقر :

كل رزق ترجوه من مرزوق
يعتريه ضربٌ من التعويق
وأنا قائل - وأستغفر الله

مفسال المجاز لا التحقيق
لست أرضى من فعل إبليس شيئاً
بغير ترك السجود للمخلوق !

أما ما رواه من شعر في صلة ذوى القربى
والرفق بهم والإحسان إليهم مهما أساءوا
والعفو عنهم إذا أخطأوا فغير قليل القدر ،
ومنه ما قاله ناصر الدولة بن حماد في ابن
خال له :

أخى : وابن خالى ! ما الذى كان بيننا
من الأمر حتى صرت تنفر من قربى ؟
ولو أننى يانصرُ رامت جوانحى
إساءة فعل فيك حاربها قلبى

ويدخل في شعر القرابة والرحم الذى
احتوته الخريدة ما دار بين الفقيهة
الشاعرة أم على الرشيدة ، وبين ولدهما
الإديب على العبدى ، وقد كان غائباً في

بعض أسفاره فكتب إلى أمه قصيدة يبثها
أشواقه يقول منها :

سيان إن عذروا فيكم وإن عدلوا
لأننى عن هواكم لست أنتقل
لا أكذب الله مالى - غير حبكم
والاستزادة من وجد بكم - شغل

وليس فى الناس لى - لو كان ينفعكم
أن تعلموا ذاك منى - غير كم أمل
أشتاقكم وبودى لو يواصلنى
خيالكم ، لو بنوم كنت أكتحل

وقد صحبت أناسا ، واشترطت لكم
قلبى ، ويصحبهم جسمى وقد قبلوا
وربما قلت للواشى إلى بكــــــــــــــــم
هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا

صلوا وصدوا ، وجوروا ، واعدلوا ، وقفوا
عما أحب ، فعندى بعد محتمل
مهما فعلتم فمحمولٌ ومغتفر
وما أمرتم فمسموع ، وممثل
وقد ردت عليه أمه بقصيدة تقول
فيها :

لولا الأمانى والتسويف والأمل
ما كان يكنفنى سهل ولا جبل

إلى الحريري صاحب المقامات ، وفيه يقول :

يأبى الرائح تنحو به
هوجاء تنقض انقضا^(١) العقاب
لم يرأ^م الفحسـل أمها في الفلا
ولا عراضا لقحت في الضراب
ولا رعت حمضا ، ولا خلصة
يوما ، ولم تجتر بهمى العذاب
ولا اعتقى الحبال أغبارها
ولا رأت سقبا لها في السقاب
لا تشتكى الآن إذا ما اشتكت
من الوجى الوجناء ذات الهباب
دهماء لم تلمس لها أشطرا
كلبية ، قد عصبتها اعتصاب
تنساب والتيار ذو حومة
مثل الحباب الصل ، فوق الحباب
طالت على العود بأعوادهـا
والناب ، لكن ما لها قط. نساب

وكلما اشتد بى نـار تعذبني

فليس إلا دموع العين تنهمل

وقد تعللت أسبابا^ل لرويتكم
فكيف بى وبكم إن فانت العال ؟
أهذى بكم حسب ما أحيا ، فإن حضرت
منى الوفاة وأوفى دوني الأجل

ناديت : لا تأخذوا ثأرى بهم هبة^ة
هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا !
ولو أخذنا نعرض شعر الحكم والأخلاق
والآداب في الخريدة لطال بنا المجال في
معرض لا يحتمل الإطالة ، ولكننا ننتقل
إلى غرض آخر من الشعر ، وهو الوصف ،
وقد وقع للعماد منه نماذج جيدة ، ولعل
من أجودها وصف السفينة للشاعر الأمير
نجم الدولة بن أبي الجبر واسمه أحمد
ابن أبي الفتوح ، وهذا الوصف هو بضعة
من قصيدة طويلة بعث بها الشاعر الأمير

(١) أى أن هذه السفينة كالناقة السريعة ، ولكنها ليست حيوانا ، ولا رعت النبات الحامض ولا الخلو ولا نبات
السهول ، ولا تشكو تعباً إذا ما شكت الناقة النشيطة ، وهى سوداء اللون ، تنساب فوق الماء انسياب الحيات فوق الرمال ،
وقد استطالت على النوب المسنة ، ولكن ليس لها ناب كالأيل التى شهبها بها .

والقصيدة كلها مملوءة بالألفاظ الغريبة
ولعله راعى مقتضى المقام بأنه أرسل بها ،
وخص بنظمها الحريري المشهور باللغة
ووفرة الحصيلة اللغوية التي تدل عليها
المقامات .

ويبدو أن الأمير الشاعر نجم الدولة
هذا كان مغرماً بالشعر الوصفى ، فقد
بعث إلى صديق له هدية من الأقلام ،
الواسطية ، وبعث معها أبياتاً يقول فيها
في صفة الأقلام :

قد بعثنا بها رشاقاً دقاقاً
كالقنا في لدونة واستواء

قطعت عندما طلوع سهيل
إذ وجدنا طيباً لجلو الهواء

لم تغادر حتى تجف . ولكن
قطعوها ، فيها بقية ماء

من قصار ومن طوال تضاهى
في تمام أصابع العنبر

تركت بعضها كما خلق الله
وبعضاً علتته بالحناء

(١) النقس بالقاف هو الخبر .

فأبرها ، ثمت اسقىها النقس^(١) واكتب
بسواد منه على بيضاء
وقد أتيح لهذا الشاعر الأمير يوم أن
يرى معركة قادتنا قاتلاً اسمه « عفيف » ،
وقد خرج عليه بعض الخارجيين المتطرفين
إلى واسط ، فهزمه وعبر في الماء وراءه ،
فقال الشاعر :

فبات جيش العدا في « واسط » وجلا
منه يحاذر بأساً غير مأمون

فانصاع للجانب الشرقي منهزماً
من ليث غاب بشدى الحرب ملبون

تصوروا أن عبر النهر يعجزنا
عنهم ، لظن بغير الحق مظلون

هناك قام عفيف بالذي قعدت
عنه الرجال برأى غير موهون

وما هم بالكماة الغلب قد لبست
من كل زغف دلاص السرد موضحون

والخيال في العبر تتلوهم مبادرة
في كل فلك كركن الطود مشحون

كأنما قيل : ياريح ! اسكني بهم
ولا تعرض لهم يابرد كانون

ولم يعدم المجتمع العراقي في العصر الذي
عاش فيه العماد الأصمبھانی وسجّل شعره
أن يجد بعض الشعراء العاكفين على
الحب ، القائمين في محرابه ، المغنين
بألحانه ، كالشاعر الرئيس أبي النرج
الواسطي الذي كان المغنون يتغنون بشعره
في ذلك الزمان ، وقد سجلت له المخرودة
بعض غزله الذي يقول فيه :

ألا يا حماماتِ تجاوبن بالضحى
كشفتن مكنوني ، فأعلنت بالشكوى

إليكن عني يا حماماتِ ضارج
عدا كنّ أشجاني وما بي من البلوى

ترفغن بي فيما بكنّ من الهوى
كما بي ، لا وجدّ كوجدى بمن أهوى

نقضت ليالينا « بليت » ، « وعلنا »
« وسوف » ، وما أحببت على المنى جدوى

فلا اليأس يُسلي لو تعهدت سلوة
ولا الصبر تُدفعى دونه الغاية القصوى !

وكا لشاعر أبي الغنائم بن المعلم الذي
كان له أشعار يحدوها الحداة ، ويتغنى
بها أرباب الغناء في العراق ، كقصيدته

في مدح الأمير هندي الكردي ، وقد
افتتحها بأرق النسيب ، مما جعلها دائرة
على أفواه العاشقين ، وألسنة المحبين ،
وفيها يقول :

تنبهي يا عذبات الرند
كم ذا الكرى ؟ هبّ نسيم نجد !

مر على الروض وجاء سحر
يسحب بُردى أرج وبسرد

حتى إذا عانقت منسبه نفحة
عاد سموها ، والغرام يُعدى

واعجبا مني ! أمتشفي الصبسا
وما تزيد النار غير وقسا

أعلل القلب ببسان رامة
وسا يتوب غصن عن قدّ

وأسأل الربيع ومن لي لو وعى
رجع الكلام ، أو سخا برد ؟

أأقتضى النوح حمامات اللوى ؟
هيهات ! ما عند اللوى ما عندي

وبعد ! فهذه جولة مع « مخريدة القصر »
العراقية في أغراض شعرها ، وفنون قولها
وهي تلك الخزانة الثمينة التي جمعها

أديب شاعر مؤرخ منصف ، وحققتها
باحث عراقي شاعر ناثر جميل الخط
هو الأستاذ محمد بهجة الأثرى ، الذي
يستحق أن يقال فيه ما قاله الرئيس
ابن المعلم - من شعراء الخريدة - في أبي
غانم اللؤلؤي :

في حلبة الشعر المثقف لو جرى
معه امرؤ القيس بن حُجْرٍ قصيرا
أو لو جرى قلم « ابن مقلة » طالبا
في المخط شأو يراعِه لتعشرا ...

محمد عبد الغنى حسن

